

تفسير ابن كثير

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

وقوله : (فتعالى الله الملك الحق) أي : تقدر أن يخلق شيئاً عبثاً ، فإنه الملك الحق

المنزه عن ذلك ، (لا إله إلا هو رب العرش الكريم) ، فذكر العرش ؛ لأنه سقف جميع

المخلوقات ، ووصفه بأنه كريم ، أي : حسن المنظر بهي الشكل ، كما قال تعالى : (

فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) [لقمان : 10] . قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن

الحسين ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق بن سليمان شيخ من أهل العراق

أبنا شبيب بن صفوان ، عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطب

عمر بن عبد العزيز أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تخلقوا عبثاً ،

ولن تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم ، فخاب

وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض ، ألم تعلموا أنه

لا يأمن غداً إلا من حذر هذا اليوم وخافه ، وباع نافداً بياق ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان

، ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين ، وسيكون من بعدكم الباقيين ، حتى تردون إلى

خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عز وجل ، قد قضى
نحبه ، وانقضى أجله ، حتى تغيبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير ممهد ولا
موسد ، قد فارق الأحباب وباشر التراب ، وواجه الحساب ، مرتهن بعمله ، غني عما ترك
، فقير إلى ما قدم . فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء موثيقه ، ونزول الموت بكم ثم جعل
طرف رداؤه على وجهه ، فبكى وأبكى من حوله . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يحيى بن
نصر الخولاني ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي هبيرة عن حنش بن عبد
الله؛ أن رجلا مصابا مر به عبد الله بن مسعود ، فقرأ في أذنه هذه الآية : (أفحسبتم أنما
خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق) ، حتى ختم السورة فبرأ ،
[فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" بماذا قرأت في أذنه؟ " فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي
بيده ، لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال " . وروى أبو نعيم من طريق خالد بن نزار ،
عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن
أبيه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ، وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا

وأصبحنا : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) ، قال : فقرأناها فغنمنا
وسلمنا . وقال ابن أبي حاتم أيضا : حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي ، حدثنا أبو
المسيب سلمة بن سلام ، حدثنا بكر بن خنيس ، عن نهشل بن سعيد ، عن الضحاك بن
مزاحم ، عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمان
لأمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن : بسم الله الملك الحق ، (وما قدروا الله حق قدره
والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون
([الزمر : 67] ، (بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) [هود : 41] .